ألا ان الواسطة الكبرى التي يُعتمَد عليها لمقاومة هذا الداء الخبيث هي ان يعلم الجمهور كلهُ الحقائق المتقدمة في هذه المقالة حتى ترسخ في اذهانهم ويصيروا يعرفون من انفسهم كيف يتّقون السل كما يعرفون كيف يتقون النار والافعى وكيف يمنعون جمرة في ايديهم من حرق بيتهم او بيت غيرهم وانتشار هذه المعرفة بين الجمهور لا يتم في سنة ولا سنتين بل لا بدَّ لهُ من سنوات كثيرة. والجرائد السيارة خير واسطة لانتشارها

خرائب الشام

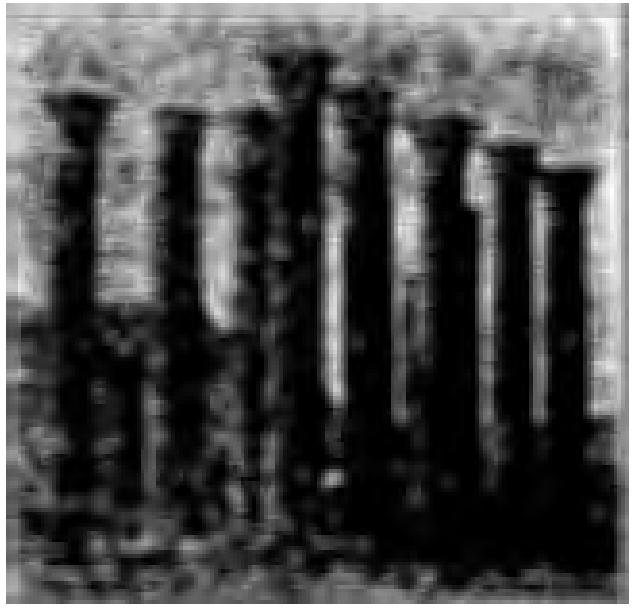

(١) جرش

بعث الينا احد فضلاء دمشق صوراً فوتوغرافية من تصوير سعاد بك مفتش الصحّة في الولاية وكتب الينا معها يقول انها صور بعض الآثار القديمة المبعثرة في بلاد الشام وطلب منا ان نذكر تاريخها او تاريخ المدن التي بقيت منها. فاخترنا الصورة التي صدَّرنا بها هذه المقالة لهذا الجزء وبعثنا بها الى من حفرها حفراً كيماوياً حتى تبقى على رونقها من غير زيادة ولا نقصان

وحسبنا من وصفها ما يرى فيها من الاتساق ودقة الصنعة وانها قاومت الدهر نحو الفي سنة

مرّت بها العواصف وهطلت عليها الامطار وترددت عليها الزلازل وانتابها الحرّ والبرد ولكنها بقيت منتصبةً حيث نصبها بناة سورية الاقدمون تحدّث بمجدهم السالف وتتحسر على ما اصاب بلادهم من غير الدهر ونوائب الايّام

هذه الاعمدة من آثار جرش احدى المدن العشرة (ذكابولس) التي كانت شرقي نهر الاردن وهي بيسان (سكيثوبولس) وجرش (جراسا) وام قيس (جدرا) وخربة السوسية (دبو) وفاهل (بلاّ) وعمان (فيلادلفيا) وقنوات (قناثا) وبيت الرأس (كايتولياس) وادون (ديون) وابل (ابيلا)

وجرش على ٥٥ ميلاً من القدس شمالاً بشرق بين جبال جلعاد على سفحي اكمتين متقابلتين بينهما نهر كروان وهو احد نواصر نهر اليرموق المعروف الآن بالزرقا. ذكرها يوسيفوس المؤرخ وقال ان الملك اسكندر يانيوس قصدها طامعاً بخزائن ثيودوروس فافتتحها عنوةً وكان ذلك سنة ٨٥ قبل الميلاد . ثم دخلها انيوس قائد جيوش اسبسيانوس واستباحها نهباً وتخريباً لكنها بقيت رغماً عن ذلك من المدن الكبيرة وكانت من اغنى مدائن فلسطين في القرن الثاني والثالث فبنى فيها انطونينوس يوس هيكلاً بديعاً للشمس بين سنة ١٣٨ و ١٦١ للميلاد ولا يزال احد عشر عموداً من اعمدة واجبته قائماً وهي المرسومة في صدر هذه المقالة طول العمود منها ٤٥ قدماً او نحو ١٤ متراً وقطره خمس اقدام وكان حول هذا الهيكل ساحة كبيرة يحيط بها صفان من الاعمدة لم يبقَ منها قائماً الاّ عمودان

ثم اخنى الدهر على هذه المدينة فلم تعُد تذكر الاّ نادراً ولعلها خربت بزلزلة قبل الاسلام لان فيها آثار كنيسة كبيرة وليس فيها آثار جامع وبقي امرها ضعيفاً الى زمن الصليبيين فدخلتها جنود الملك بلدوين الثاني سنة ١١٢١ وزاد انحطاطها بعد ذلك فذكرها ياقوت الحموي وقال انها خرائب مهجورة

وآثارها الباقية الى الآن من اعظم آثار المدن الشرقية فلا يزال فيها ٢٣٠ عموداً من العمد القائمة بعضها من الطراز الكورنثي وبعضها من غيره وفيها مشهد بثانية وعشرين صفاً من المقاعد تسع ستة آلاف نفس وهو من اكبر ادلة عظمتها السالفة لان مشهداً يسع ستة آلاف من النفوس يقتضي ان تكون المدينة التي هو فيها مقيمة آهلة بسكانها وهم في رفاهة وبسطة عيش. ومن آثارها ايضاً ستة هياكل كبيرة احدها اعمدة واجبته كورنثية وهو المشار اليه آنفاً وبركة كبيرة كانت تمثّل فيها الحروب البحرية ويؤتى اليها بالماء بقناة كبيرة لا تزال آثارها الى الآن وحمامان وقناطر نصر وارقوة كبيرة وكان القسم الداخلي من المدينة مسوراً بسور عظيم محيطهُ نحو ميلين ولعلهُ كان يحيط بالجانب الحصين منها

والبلاد التي انتجت تلك المدينة وانجبت سكانها لم تزل على حالها ولم يتغير ترابها ولا تغير ماؤها ولا هواؤها . والإحالة على القدر والدهر اسلوب من اساليب التعبير لا يقصد به اظهار حقيقة ولا تقرير حكم وانما الذي خرّب المدينة والبلاد كلها فساد الاحكام فانهُ افسد مصالح العباد واخلاقهم فتولاّهم الضعف ودبّ فيهم الوناء فاصبحوا لا ترى الاّ منازلهم او خرائبها

اليزا اقرت

ايتها النفس الزكية التي غادرت عالم الشقاء . وانتقلت من دار الفناء الى دار البقاء . اوحي اليّ لكي اقوم ببعض الواجب من وصف اخلاقك الراضية . فلقد طالما كنتِ توحين الى بناتك وتبثّين في نفوسهنّ روح القيام بالواجب في السر والعلانية . لُعيت الى بناتك ومريداتك على غير انتظار بعد بُعد الدار وشط المزار

وكنا قُبيْل الموت نستعظمُ النوى فقد صارت الصغرى التي كانت الكُبْرى

فشقّ عليناالنعيُ حتى كاد يشقُّ المرائر وما منّا الاّ كلٌّ باكية ترددّ قول مَن قال

فوا اسفا ان لا اكبَّ مقبلاً لرأسك والصدرَ الذي مُلئا حزما

وان لا ألاقي روحكِ الطيب الذي كأنّ ذكيَّ المسكِ كان لهُ جسما

ولدت فقيدة العلم والادب والفضيلة والمحبة في مدينة ولوبي من ولاية اوهيو باميركا سنة ١٨٤٣ وتعلمت في مدرسة بلدها ثم في مدرسة ليروي الجامعة بنيويورك ونالت الشهادة العلمية سنة ١٨٥٨ وعادت الى مدرسة ولوبي فعلمت فيها اربع سنوات وانتقلت منها الى مدرسة ليروي ثم الى مدرسة كانتون حتى اذا اتقنت فن التعليم وادارة المدارس علمًا وعملاً دُعيت الى سورية سنة ١٨٦٨ لتدير مدرسة البنات الاميركية في بيروت . وكان همُّها الاكبر في اول الامر ان تتعلّم اللغة العربيّة وتبث النظام والتهذيب في المدرسة . وكانت ذكية الفؤاد رخيمة الصوت رقيقة القلب وفورة المجلس فاحبها تلميذاتها واكرمنها وبذلنَ جهدهنّ في طاعتها وارضائها وهي لا ترضى بغير الاجتهاد والتأدب وحسن السلوك ولذلك نجحت المدرسة في عهدها ونبغ منها كثيرات من اللواتي تزدان بهنّ مجالس مصر والشام في هذه الايام زوجات كنّ وامهات او معلمات ومربيات . واللواتي اقمنّ منهنّ في بيروت كنّ ينتظرن زيارتها في بيوتهنّ انتظار العيد ويحببنها حبّ الاخت للاخت ويكرمنها اكرام البنت للام

وكان اسلوبها في التعليم اسلوب المساعدة والترغيب حتى يقبل التلميذات على العلم من انفسهنّ